هدية للعروسين

3

هذا هو زوجي

إعداد

أبو عمار

ياسر العدل

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد..

لما كان من أهم مقاصد الزواج تحصيل الذرية الصالحة والاهتمام بتخريج الأبطال والقادة والعلماء والدعاة، الذين يُعيدون للإسلام مكانته، وينفعون الأمة وأفرادها، وجّه الإسلام العناية إلى أهمية الاختيار والانتقاء عند الزواج الذي به يخرج لنا هذا الجيل الفريد الذي يُضاهي جيل الصحابة ويعرف كلا الزوجين واجبهما المنوط بهما، لتحقيق هذا المقصد الغالي.

وإذا كان الزوج يجب عليه أن يُحسن اختيار أُم ولدهُ لأنها هي الركن الأساسي في صلاح الأسرة، وإقامة البيت الصالح وتخريج الأجيال وتنشئة الأبطال.

فالأمر يزداد أهمية بالنسبة للزوجة ووليها في اختيار وانتقاء الزوج الكُفء، الذي تنعم المرأة في كنفه بالسعادة والاستقرار، ويوجه الأسرة ويقومها للقيام بهذه المهمة العظيمة، لأنه هو ربان السفينة وقائدها وهو القائم بتوفير الظروف الملائمة وتهيئة الأسباب التي تُخرج لنا هؤلاء الذين ننشد وجودهم.

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «الإحياء»**: والاحتياط في حقها أهم، لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال.

وكما وضع الإسلام الأسس التي من خلالها يختار الشاب شريكة حياته، فكذلك وضع الأسس

التي من خلالها تستطيع الفتاة أن تختار شريك حياتها وكان من أهم الأسس:

الدين والخلق:

فكما أن النبي ﷺ اختار لكل شاب ذات الدين لتكون له زوجًا كذلك اختار لولي الأمر، صاحب الدين والخُلق ليقوم بالواجب الأمثل في رعاية الأسرة وأداء حقوق الزوجية، وتربية الأولاد والقوامة الصحيحة في الغَيْرة على الشرف وتأمين جانب البيت بالبذل والإنفاق.

وقد حذر النبي ﷺ من منع تزويج ذي الدين والخُلق فقال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ، فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(١).

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي.

فهذا هو الزوج الذي رضيه النبي ﷺ واختاره لولي الزوجة صاحب الدين والخُلق.

وأي اختيار فوق اختيار النبي ﷺ يلحق صاحبه الخيبة والحسرة، لذا قال ﷺ: «**إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيض**».

وأي فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة في براثن خاطب متحلل، أو زوج لا يرقُب في مؤمنة إلًّا ولا ذمة، ولا يُقيم للشرف والغيرة والعرض وزنًا ولا اعتبارًا!

وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر، يُكرهها على السفور والاختلاط، ويجبرها على احتساء الخمر، ومراقصة الرجال، ويُكرهُهَا على التفلت من رتبة الدين والأخلاق؟!

فكم من فتاة ويا للأسف؛ كانت بين أهلها مثالًا للعفة والطهارة، فلما انتقلت إلى بيت إباحي، وزوج متحلل فاجر، انقلبت إلى امرأة متهتكة مستهترة، لا تقم لمبادئ الفضيلة أية قيمة، ولا لمفاهيم العفة والشرف أي اعتبار!![1].

ومما لا شك فيه أن المرأة إذا كانت متحللة فاسدة انتشر في الأرض الفساد الكبير الذي أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ، لأن صلاح المرأة يعني صلاح البشرية فهي نصف المجتمع، وهي التي تلد لنا النصف الآخر، فهي أمة بأسرها، وإذا فتشت عن سبب انتشار الموبقات والفواحش في المجتمع، فترى وراء ذلك امرأة متهتكة سافرة عارية، أو صورة خليعة ماجنة، أو رواية ساقطة بذيئة، أو أفلام

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام».

هابطة سخيفة تدعوا للانحلال والعُهر، وسبيل قوام المجتمع وانصلاح أخلاقه، يكمن في اختيار الزوج الصالح «التقي النقي» الذي يخشى الله - عَزَّ وَجَلَّ - ويغار على عرضه يمنع زوجته من التبرج والسفور، ويُراقبها في مشاهدتها وقراءتها، فلا تُشاهد الأفلام ولا تقرأ الروايات التي تُنقص من إيمانها وتؤثر على دينها وأولادها.

فعليك أختي باختيار الزوج الصالح.

فالزوج الصالح: الذي إذا أحب زوجته أكرمها، وأكرم أهلها، وأظهر محبته لزوجته بالبسمة الرقراقة، والكلمة الطيبة، واللمسة الحانية، والهدية النافعة، وإذا كره من زوجته خُلق رضي منها آخر.

كما قال النبي ﷺ: «**لَا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كَره منها خُلق رضي منها آخر**».

فلا يُهنها ويظلمها وإنما يُراعي نفسيتها، ويُقوِّم أخطائها بالحكمة والهدوء.

الزوج الصالح: الذي يحرص على حضور مجالس العلم، ويُكثر من القراءة والمطالعة التي تُقربه من ربه، ليوجه ويُعلم زوجته ويتعاونا سويًا على طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

الزوج الصالح: الذي يعرف كيف يُربي أولاده ويُحسن تأديبهم، ويُعطيهم من وقته، فيُقوِّم ويُوجه ويكون قدوة صالحة لأولاده.

الزوج الصالح: الذي يتحمل مسئولية الأسرة فيقوم على واجباتهم بالنفقة ويكون حكيمًا عاقلًا، قادرًا على الكسب الحلال.

الزوج الصالح: الذي يعف زوجته ويمنعها من الخطرات والزلَّات، فيتزين لها ويتجمل، ويجتهد في

إشباع زوجته عاطفيًا.

الزوج الصالح: الذي يتفقد حال زوجته وأولاده فيتعاهدهم دائمًا بالنصيحة، ويسأل عن طاعتهم وتقواهم، ويصحب زوجته وأولاده إلى حضور مجالس الذكر والعلم.

ما أحوجنا إلى الالتزام بالشرع الحنيف والاقتداء بالنبي المعصوم ﷺ، لنحافظ على بيوتنا ونضمن صلاح أبنائنا الذي يعود على المجتمع من حولنا، فيعم الأمن والهدوء والاستقرار.

وحينما كان همّ ولي الزوجة اختيار الزوج على حساب الدين، فيُقدم صاحب الثروات وإذا كان متحللًا أو صاحب الشهادات، وإن كان غير أمينًا، أو صاحب الحسب والنسب، وإن كان غير ديّنًا.

كثرت المشاكل في البيوت وعمت الفوضى في

المجتمع، وانتشرت حالات الطلاق، الذي يعود أثره على خراب الأسر وانحراف الأولاد وفساد المجتمع.

عن سهل رضي الله عنه قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ لَهُ. قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ ﷺ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ لَهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»(١).

الكفاءة في الزواج:

«ولا يستطيع أحد أن يهمل مسألة الكفاءة في

(١) رواه البخاري.

الزواج، وهي المساواة والمماثلة ومذهب جمهور أهل العلم؛ أنه يُراعى أربعة أشياء:

١. الدين. ٢. الحرية.

٣.النسب. ٤. الصنعة.

فلا تُزوج المسلمة من كافر، ولا الصالحة من مُفسد، ولا الحُرة من عبد، ولا المشهورةُ النسب من الخامل، ولا بنت تاجر أو من له حرفة طيبةً ممن له حرفة خبيثة، أو مكروهة فإن رضيت المرأة أو وليُّها بغير كفء ما صح النكاح».

وإنما كان مقصودهم بهذا توفير دواعي الاستقرار والانسجام في الأسرة، وتجنب دواعي الشقاق والضرر والتنغيص؛ «لأن النكاح يُعقد للعمر، ويشتمل على أغراض ومقاصد؛ كالازدواج، والصحبة والأُلفة، وتأسيس القرابات، ولا ينتظم

ذلك عادة إلا بين الأكفاء»[١].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكفاءة في النكاح مُعتبرة، واختلف العلماء؛ هل في الدين والمال والحسب؟ أو في بعض ذلك؟، والصحيح جواز نكاح الموالي للعربيات والقرشيات؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣)، وقد جاء موسى إلى صالح مدين غريبًا طريدًا خائفًا وحيدًا جائعًا عريانًا، فأنكحه ابنته، لما تحقق من دينه ورأى من حاله، أعرض عما سوى ذلك»[٢].

إذًا اتفق العلماء على أن الكفاءة في الدين مُعتبرة، واختلفوا في النسب والصنعة والحرية، واعتبره

---

(١) «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» نقلًا عن: «عودة الحجاب».

(٢) «الجامع لأحكام القرآن».

جمهور العلماء من مقصود الاستقرار والانسجام في الأسرة.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي يقتضيه الحكم؛ اعتبار الدين في الكفاءة أصلًا وكمالًا، فلا تُزوج عفيفة لفاجرٍ، ولم يعتد القرآن والسنة في الكفاءة أمرًا وراء ذلك»(١).

فليتق الله أناسٌ هان عليهم دينهم، فلا يُبالون بتزويج بناتهم الصالحات ممن هم عن الدين مُعرضون، وللصلاة مُضيعون، وبالمنكر آمرون، وعن المعروف ناهون، إيثارًا لأغراض الدنيا، ومتاعها الزائل، وليعلموا أنهم بين يدي الله موقوفون، وعن فتنتهم بناتهم مسئولون: ﴿وَسَيَعْلَمُ

---

(١) «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» نقلًا عن: «عودة الحجاب».

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [١] (الشعراء:٢٢٣).

والإسلام إذ يقيم الوزن الأرجح للكفاءة في الدين، لا يحول - إذا أمكن - دون ابتغاء ما دونها، فلن تُعوضها أي كفاءة أخرى معنوية كانت أم مادية، أما إذا فُقدت الكفاءة في الدين، فلن تُعوضها أي كفاءة أخرى، في حين أن الدين عوضٌ عن كل ما عداه.

عليك بتقوى الله في كل حالةٍ

ولا تترك التقوى اتكالًا على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ

وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

---

(١) «زاد المعاد».

ومن ثم: فإنه يجوز للفقير أن يتزوج الغنية، وللمولى أن يتزوج الشريفة القرشية، وللرجل الكبير أن يتزوج الصغيرة الصبية، لكن لا يجوز للفاسق ومفقود العدالة أن يتزوج الصالحة التقية، مهما توفرت له مقامات الكفاءة في الحسب والنسب والجاه والمال، لأنه لا يُؤَثِّر عليها في دينها وخُلقها»[1].

هذا وبالله التوفيق

(١) «الفقه الإسلامي وأدلته» نقلًا عن: «عودة الحجاب».